التمرد في الشعر النسائي العربي المعاصر
"سعاد الصبّاح نموذجا"

Rebellion in Contemporary Arab Women's Poetry
"Souad Al-Sabbah as a Model"

إعداد

فتيحة بلمبروك
Fateha Belmbrook
أستاذ التعليم العالي- كليّة الآداب واللغات والفنون- سيدي بلعباس- الجزائر

Doi: 10.21608/mdad.2024.352022

استلام البحث	**١٢/ ١/ ٢٠٢٤**
قبول النشر	**٢٩/ ١ / ٢٠٢٤**

بلمبروك، فتيحة (٢٠٢٤). التمرد في الشعر النسائي العربي المعاصر"سعاد الصبّاح نموذجا". ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٥)، ٦٩- ٨٤.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

التمرد في الشعر النسائي العربي المعاصر
"سعاد الصبّاح نموذجا"

المستخلص:

سعت المرأة أن تصبح عنصرا فاعلا في المجتمع، رغبة منها في التخلص من كونها عنصرا تابعا للرجل، وكذا التخلص من النظرة الدونية التي جعلت الفحولة مركزا للعالم، فغيّبت إبداعاتها عن المشهد الثقافي، لذا أسّست المرأة بكتابتها المشاكسة للصوت الذكوري نمطا أدبيا يسعى إلى الخصوصية فيم تكتبه، لترفض موقعها الرتيب الذي صنفها تاريخيا خارج عملية الإبداع الأدبي، وكان لتجربة سعاد الصبّاح الشعرية حظها من التمرّد على النسق الفحولي الضارب في القدم، محاولة مخاتلة الحصن الذي بناه الرجل، وهذا ما بدا جليّا في خطابها من خلال الكلمات التي تدلّ على الرفض لمظاهر القهر والظلم. وهذا ما سنراه في ورقتنا البحثية.

الكلمات المفتاحية:المرأة، الكتابة، النسوية، النسق الفحولي، التمرد، الرفض، الرجل.

Abstract:

Women sought to become an active element in society, desirous of being a subservient element of the man, and eliminating the inferior view that made machismo a centre of the world. Their creativity was absent from the cultural scene. By writing the male-voice, women established a literary style that sought privacy in their writing. They rejected their hierarchical position that historically classified them outside the process of literary creativity. Words that signify rejection of manifestations of oppression and injustice. And this is what we'll see in our paper.

Keywords: women, writing, feminism, macho style, rebellion, rejection, man.

. . .

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

الكتابة النسائية والسعي نحو الخصوصية في الإبداع والنقد:

"أريد أن اكتب.. لأدافع عن كل شبر من أنوثتي... لأتحرر من ألوف الدوائر والمربعات وأخرج من حزام التلوث. الذي سمّم كل الأنهار، وكل الأفكار... فالمدينة التي أسكنها لا تطرب إلا لصياح الديكة وصهيل الخيول.. وشهيق ثيران المصارعة"(سعاد الصبّاح، قصيدة حب).

اقترن وجود المرأة منذ القدم بالخطيئة والذنب، وهذا ما نالته أمّنا حواء جرّاء حادثة الأكل من الشجرة الممنوعة، رغم أنّها وأبونا آدم أكلا معا في وقت واحد، وبدل أن يصبح الشيطان الذي وسوس لهما معًا هو العدو، باءت أمّنا حواء بذنب الإغواء، وألصقت بها التهمة، وسلبت مكانتها، واستهلكت حقوقها المدنية بعدها، من ميراث وتعليم، وحق في الزواج بمن تريد، أو طلاق،وصار للرجل حق التصرف.

قاد حديث الفلاسفة وعلماء الاجتماع عن مكانة المرأة والرجل وصفاتهما في المجتمع، إلى ما يسمى بالجندر للتفرقة بين الجنسين، والتعريف بدور كل منهما داخل المجتمع، وما يصاحبه من خصائص اجتماعية ثقافية مبنية على أساس الجنس والنوع البيولوجي، وكيف جعل الرجل في مقابل المرأة بصفتهما متقابلين، ويكملان بعضهما بعضا[١].

سارت أغلب النظريات الفلسفية القديمة نحو الحط من قيمة المرأة، والنظر إلى أنّ ما تمارسه من نشاطات أقل أهمية مما يمارسه الذكور، فوجدت على السطح أعمال فلسفية قسّمت العمل على أساس الجنس، ومن هنا ذهب أرسطو إلى عدّ دونية المرأة مرتبطة بطبيعتها البيولوجية، وأنّ وظيفتها الحقيقية هي الإنجاب، وفصل بين الذكر والأنثى بما سمّاه انفصال الأعلى عن الأدنى، كما رأى بأن المرأة تشويه للإنسانية، إذ تشكلت بدلا من الذكر بسبب انحراف في الطبيعة، فهي مخلوق مشوّه، وليست سوى وعاء سلبي في عملية التوالد، فساوى بينها وبين الأطفال من حيث عدم العقلانية، لذلك

[١] - ينظر، عصمت حوسو، الجندر (الأبعاد الاجتماعية والثقافية)، ص.ص ٢٢/٢١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

نادى بضرورة أن يحكم الرجل المرأة ويكون مسؤولا عنها. كما عدّ النساء حسودات وكاذبات ومفتريات، ولا تناسبهن القوة والشجاعة والذكاء لئلا تحدن عن وظيفتهن الحقيقيّة في العناية بالمنزل، كما أنّ الطبيعة لم تخطئ حين لم تعطها عقلا كاملا لأنّ وظيفتها لا تحتاجه، لذلك اتصفت نظرة أرسطو بأنّها أبوية بطريركية صارمة، عانت معها المرأة.[٢]

لم يختلف الأمر كثيرا مع أفلاطون إذ صُنّفت المرأة في فترته على أنّها جزء من الملكية الخاصة للأفراد، ووصل معه الأمر لحدّ التأسّف كونه ابن امرأة، ورأى أنّها شريرة بطبعها، وأنّ الآلهة صنعت رجلا كاملا شرط المحافظة على الكمال، وإذا أخلّ بصفة منه ولد ثانية في صورة امرأة. ليعدل عن رأيه ذاك ويتدارك الوضع في مدينته الفاضلة الثانية، وصرّح في جمهوريته بأهميّة تساوي النساء مساواة تامة مع الرجل، إذ أدرك أهمية الأنثى في تحقيق رفاهية المجتمع[٣].

ولعلّ سقراط لم يخرج عن نظرة غيره من الفلاسفة إذ إنّه رأى في وجود المرأة مصدرا للأزمة والانهيار في العالم، وراح يشبّهها بالشجرة المسمومة التي يكون ظاهرها جميلا لكن العصافير تموت حينما تأكل منها. وكذلك كان حال جون لوك حين أقصى النساء عن مجال الحياة الاقتصادية، وأكّد تبعيتها للرجل، مثلما صوّرها روسو على أنها مصدر الشر والخطيئة، وخضوعها للرجل هو بمثابة العقاب الذي تستحقه، وأيّ خروج عن طوعه سيكون خروجا عن فطرتها[٤].

المرأة والتحرر:

رغم أن الإسلام أعاد للمرأة حريتها ومكانتها، بتحريم قتلها وإعطائها حقها في الميراث، وإبداء الرأي، والعمل، إلاّ أن النسق الثقافي المتمثل في الوأد (ترسبات المجتمع الجاهلي) بقي سائدا في المجتمع العربي الذي تجاذبته إيديولوجيات عدّة دعمت النزعة

[٢] - ينظر، المرجع نفسه، ص ٢٣ وما بعدها.
[٣] - ينظر، المرجع السابق نفسه، ص٢٦.
[٤] - ينظر، المرجع السابق نفسه، ص ٢٧ وما بعدها.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأبوية التقليدية التي تؤكّد تفوق الرجل على المرأة، وأكّدت بشكل أو بآخر مركزية الذات الذكورية، لسنوات عدّة.

وما يعجب لـه أن بعض النساء تظن أن تحررهن مرتبط في إخضاع الرجل لسطوتهن، في حين يعتقد بعض الرجال أن رجولتهم لا تكتمل إلا بمصادرة رأي المرأة وإبعادها عن تأدية دورها خارج أسوار البيت. فالمرأة المتحررة حقيقة وليس مجازا، هي المستقلة بشخصيتها المتصالحة مع ذاتها والمتعاونة مع الرجل في البيت أو العمل، وليست المنافسة له. فهي لا تستطيع أن تنفتح على الحياة بعيدا عن تعاونه معها ووقوفه إلى جانبها ولاسيما عند إثبات وجودها في مجال ما. مثلما هو أيضا لا يستطيع أن يستمر في نجاحه وتقدمه من غير أن يكون للمرأة دور في هذا النجاح والتقدم. فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي التي تشكل النظام الحضاري للمجتمع.

إن أيّ قانون يمنح المرأة العربية عطاء ما، سيبقى عاجزا ما لم تحاول تثقيف نفسها وتتعلم كيف تحقق وجودها. عندها تستطيع أن تشارك الرجل في بناء مجتمع متماسك، وتساهم معه في حضارة القرن الحالي الحادي والعشرين، لا أن تبقى على هامشه[٥].

و"لأوّل مرّة قامت كاتبتان عربيتان بتعرية الوضع الذي عمل منظّرو الأبوية المستحدثة على التستّر عليه بأساليب بلجوئهم إلى الخرافة، وعمد المصلحون المسلمون باستمرار إلى إضفاء طابع الصوفية عليه. قامت نوال السعداوي بمواجهة جريئة في كتابها المرأة والجنس، فلم تثر النواحي الاجتماعية والاقتصادية لتحرّر المرأة فحسب، بل عالجت أيضا النواحي الجنسية. وإضافة إلى إثارتها قضية الجنس في كتابها ما وراء الحجاب فقد طرحت فاطمة المرنيسي، الناحية القانونية / الشرعية لخضوع المرأة، وأشادت إلى الوسائل التي يتوجّب اعتمادها لتغيير وضعها في مجتمع إسلامي معاصر

[٥]- جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، - دراسة مقارنة -، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق – ٢٠٠٤، ص ٢٧٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فعليا"[٦]. إن توجّه الكاتبتين يعتمد منهجا عقلانيا منظما، ورغم اختلافهما في طريقة التحليل، إلاّ أنّهما اتفقتا على شروط جوهرية أولية ابتغاء تحرير المرأة: بخلق تغيير اجتماعي جذري، والإطاحة بهيمنة الأبوية[٧]، بينما يغيب عن تصورهما الحل السياسي اللازم لهذه الأزمة المتجذرة في المجتمع.

مازال العرب أثناء دراستهم لحركة النسوية بمنطلقاتها وتاريخها، وأفكارها، محتارون من الموقف الذي يتّخذونه أمامها، لأنّ الاحتكاك بالحركة النسوية وما بعدها يقود إلى التأثر بحياة الآخر الغربي والتعامل بأدواته، والتفكير في قيمته وجدواه في مجتمعنا العربي هو مأزق آخر، إذ علينا معرفة هذه النسوية "ومدى تناسبها أو تنافرها مع قيمه وموروثاته الاجتماعية والثقافية والعقائدية، خصوصا وأنّ المجتمع العربي بطبيعته يتسم بقدر شديد من التحفّظ والتقليدية في تناول كل ما يتعلّق بالمرأة وحياتها، وفي هذا الإطار لابدّ أن تبدو بعض الأفكار التي تطرحها بعض النسويات البريطانيات أو الأمريكيات إمّا غريبة على الوعي العربي أو غير مقبولة لديه أو صادمة له"[٨]. لذا فأغلب العوامل السياقية المرتبطة بهذه الحركة تتطلب فهما وتمحيصا قبل تبني المصطلح تبنيّا أعمى.

يبدو أنّ قضيّة تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل من أكثر المآزق التي واجهها الإبداع، فالقضية لها تداعيات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية أيضا، فلكي تسترجع المرأة مكانتها أو حقها في الإبداع، عليها الانتقال من الهامش إلى المركز الذي شغل الرجل مساحته كلّها، بينما كان نصيبها التغييب والقمع، كما عليها تغيير النسق

---

[٦]- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر/ محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٣، ص.ص ٥١،٥٠.

[٧]- ينظر، المرجع نفسه، ص،ن

[٨]- سارة چامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر/أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢، ص٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الثقافي السائد وتتصارع معه في أوّل محطّة، "والحس الفحولي في الثقافة الذي هو (المتن) الوجداني والعقلي لنا ولثقافتنا لابدّ أن يندرج من تحته مضمر ثقافي يسعى بحياء أو ربما بمخاتلة لكي يشاغب المتن ويهزّ بعض جدران القلعة، ومن هنا جاء حفرنا عن علامات لتأنيث الخطاب وأخرى لاستنبات قارئ مختلف يبحث له عن وجود ثقافي حر ومستقل"[٩]. فالمهمّة شاقّة أمام امرأة يؤرّقها استفحال وسيادة نسق ثقافي فحولي، فالشعر شيطان ذكر، وجمل بازل، والطبقات فحول، وللمعلّقات رجال وليس نساء، وإن ظهرت شاعرة ما، فعليها أن تستفحل وتكتب مثل الرجل...وما الأنثى من كلّ هذا المشهد الأدبي سوى كائن ناقص تابع، يحاول هزّ حصن منيع ضربه الرجل على نفسه سدّا منيعا، وليس لها سوى مخاتلة هذا الوعي الوجداني باحتشام، لوعيها بمدى أصالته، ومدى صعوبة أمر زعزعته.

يرى المشتغلون في هذا المجال بأنّ مستويات النشاط الأدبي للمرأة غدت مسكونة بهاجس التأسيس لنمط أدبي يؤسّس لرؤية مغايرة لإبداعية المرأة انطلاقا من: التحوّل الداخلي الجديد للكتابة النسائية نحو الكتابة بالجسد، وكذا رفض الكاتبة المعلن لموقعها النمطي الذي صنّفها تاريخيا خارج عملية الإنتاج الأدبي[١٠].

هذا إذن يعمّق مسؤولية المرأة لتخرج نصوصها من الحصار المفروض عليها، وهو الأمر نفسه الذي جعلها تستوعب ما سينتظرها من مآزق في سبيل تحويل تلك النصوص من العتمة إلى النور، من الهامش إلى المركز، ولعلّ الرهان الذي حملته لديه ما لديه من الصعوبات؛ إذ عليها تقديم عمل يؤهلها لمجابهة خطاب متجذّر منذ زمن سحيق، فأرادت تحقيق ذاتها، محاولة إيجاد خصوصية لها أمام الآخر، الذي تشعبت مشاربه فليس هو الرجل فقط وإنّما المجتمع الذي مارس عليها الإقصاء، والقارئ الذي

[٩]- عبد الله محمد الغذّامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥، ص مقدمة.

[١٠]- ينظر، عبد النور إدريس، النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاءات، الأردن، ط١، ٢٠١٣،

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يجب أن تقدّم له عملا يؤهّلها لديه.

يعدّ الوصول إلى تنظيم محكم لكتابة جديدة، ذات خصوصية وفرادة إشكاليا بامتياز، فليس من السهل كسر خطيّة الإبداع وإزعاجه بمعضلة كبيرة هدفها التفريق بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل، والاستجابة لهذا التقسيم هو في حدّ ذاته اعتراف ضمني بإقصاء المرأة، وفرض حدود على ظهورها، وعدم اعتراف بوجودها، لهذا لقي المصطلح رفضا من قبل الرجال والمفاجأة الكبرى أن يجد الرفض نفسه من قبل بعض النساء، إذ رأينه إقرارا بعدم وجود أدب نسائي البتّة، وبخاصة الرواية، فرجوعا إلى التاريخ سنجد أنّه قبل ظهور رواية زينب لحسين هيكل، وجدت قبلها رواية بديعة وفؤاد لعفيفة كرم، فكانت نموذجا لأول رواية عربية متكاملة من حيث مادتها الحكائية وخطابها كما يرى سعيد يقطين[١١].

بدا التخلص من الصور النمطية للمرأة الضحيّة عند المبدعين الرجال أمرا واجبا لدى الكاتبات، فقد استهلكت تلك القوالب الرتيبة التي تقدّم صورة سلبية للمرأة، فلابد من رفع التحدي للخروج ممّا فرض عليها من صور باهتة تعكس خضوعها وتبعيتها، وعليه ظهر وعي جديد يحاول كسر التقاليد الأدبية الكلاسيكية لتواكب التطور، تعترض المعايير والقيم المفروضة والمهيمنة على الساحة الأدبية، لتصل إلى مرحلة متقدمة من استكشاف الذات والبحث عن هويّة أنثوية لأدبها بعامة وسردها بخاصة، والوصول إلى آخر مرحلة هو ما ينطبق على الأنثوية، وما يجعل المرأة تقدّم أدبا خاصّا بها[١٢].

يعدّ الوصول إلى تنظيم محكم لكتابة جديدة، ذات خصوصية وفرادة إشكاليا بامتياز، فليس من السهل كسر خطيّة الإبداع وإزعاجه بمعضلة كبيرة هدفها التفريق بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل، والاستجابة لهذا التقسيم هو في حدّ ذاته اعتراف ضمني بإقصاء

[١١]- ينظر، سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، "الوجود والحدود"، دار الأمان، المغرب، ط١، ٢٠١٢، ص ٢٠٠.

[١٢]- ينظر، م، ن، ص ١٩٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المرأة، وفرض حدود على ظهورها، وعدم اعتراف بوجودها، لهذا لقي المصطلح رفضا من قبل الرجال والمفاجأة الكبرى أن يجد الرفض نفسه من قبل بعض النساء، إذ رأينه إقرارا بعدم وجود أدب نسائي البتّة كما يرى سعيد يقطين[١٣].

فهل استطاعت المرأة أن تختطّ لها نمطا جديدا في الكتابة أم إنه مشروع وهمي للكتابة الضد التي تحاول تحطيم ما لا يمكن تحطيمه؟

هل استطاعت الشاعرة سعاد الصباح اختراق الحصن المنيع الذي بناه الرجل بكتاباته أمدا من الدهر أم إنها مجرد مخاتلات ومشاكسات تنتهي جذوتها بمجرد الانتهاء من قراءتها؟

بالاطلاع على ما أنتجته سعاد الصباح نستكشف نسقا ثقافيا حاضرا بامتياز، همه الكشف عن القهر الذي مورس على إبداع المرأة رغم أنها أساس الوجود، لذلك نجد في تسميتها لديوانها في البدء كانت الأنثى محاولة لاسترجاع قيمة الأنثى التي تكتب للدفاع عن أنوثتها المسلوبة ومكانتها المنتهكة التي حاصرتها الدوائر والمربعات المتعلقة بالعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، والأفكار المسمومة بنسق ثقافي ما يزال يضاعف وأدها كلما أتيحت له الفرصة، فالمكان الذي لا يطرب إلا لصياح الديكة، وصهيل الخيول، وشهيق ثيران المصارعة، ما هو إلا مكان فحولي بامتياز لا موقع للمرأة فيه، لذا تقف الشاعرة متذمرة من هذا الوضع لترجع أصل البداية للأنثى متحدية الواقع الذي يقول عكس ذلك.

لهذا تجد سعاد الصباح في شعرها تحاول تغيير مسلمات باتت مؤكدة، ومنها أن تكون الكتابة من حق الرجل، وهو نسق ثقافي ابتدعه نظام القبيلة الذي كان يقدم الرجال في المراتب الأولى ولا يهب للأنثى فرصة الظهور إلا إن استفحلت.

يقولون:إن الكتابة إثم عظيم..

---

[١٣]- ينظر، سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، "الوجود والحدود"، دار الأمان، المغرب، ط١، ٢٠١٢، ص ٢٠٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فلا تكتبي

وإن الصلاة أمام الحروف.. حرام

فلا تقربي

وأن مداد القصائد سم..

فإياك أن تشربي

تشرع الشاعرة في ذكر المحظورات ومجموعة أوامر ومنهيات عنها تخص الأنثى وحدها، وكأنها يجب أن تلتزم بما صار حراما عليها، ومسموم لتذوقه، لكنها بعد لحظة تسارع بالإجابة كمن لا يأبه بالتنديد

وهاأنذا..

قد شربت كثيرا

فلم أتسمم بحبر الدواة على مكتبي

وها أنا ذا قد كتبت كثيرا

وأضرمت في كل نجم حريقا كبيرا

فما غضب الله يوما علي

ولا استاء مني النبي

تظهر في هذا الخطاب الذات في مواجهتها مع الآخر المجتمع الذي تدل عليه كلمة يقولون وهو جمع مذكر، يرى أولئك في البوح سمّا، الإنسان وهو يقوم بتحريم وتجريم الأنثى من حق الكتابة، لكن الرد أتى سريعا وواضحا من الشاعرة، حيث تأبى خضوعها للكلام، وتضرم النار في وجه كل من يرى نفسه النجم الذي لا يطاله أحد، هي ذات تثور على كل من ينهاها:(إياك، حرام، لا تقربي، لا تكتبي) خطابات تنديدية تبذرها سعاد الصباح، وتستقبل الكتابة بضمير مرتاح يفسره خطابها الساخر النافي "فما غضب الله يوما علي ولا استاء مني نبي"، وهي رسائل هازئة تبعثها لأولئك المتشددين الذين يحرمون كل شيء دون وعي منهم بأن الكتابة التي تردف بالخطيئة وتلتصق بالموت هي ما يجب على الشاعر مكابدته حتى يعيش من الشعر ما يسلمه للحياة، رحله شاقة وماتعة معا عندما تصبح الكتابة دفاعا عن المرأة وإنهاء لعصور من الوصاية على عقلها وفكرها

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كما قالت، لتصل به المرأة إلى شاطئ إنسانيتها وتصل بها إلى علاقة تكافؤ بينها وبين الرجل. وهذا ما أشارت إليه مواصلة غضبها

يقولون إن الكلام امتياز الرجال
فلا تنطقي
وان التغزل فن الرجال
فلا تعشقي
وأنّ الكتابة بحر عميق المياه
فلا تغرقي
وها أنا ذا قد عشقت كثيرا..
وها أنا ذا قد سبحت كثيرا
وقاومت كل البحار ولم أغرق..

تفصح الشاعرة هنا مباشرة عمن يمتلك الحق المنتزع منها وهو الكلام الذي أضحى ميزة الرجال، فلا الكتابة ولا التغزل متاح للأنثى، ولفظ لا تنطقي مشحون بنسق ثقافي مضمر نخر في مسيرة الإبداع الأدبي لسنوات عدة. فبمفارقة بين الممنوع والمرغوب، بين مرفوض ومقبول يستعر اللفظ، وتحتدم المتناقضات. وبين نهي وتحد تواصل الشاعرة رفضها وتمردها على أعراف المجتمع التي تقدم الرجل في الكلام، وفي حق التغزل والكتابة وهذا يعيدنا إلى أزمة المرأة مع الجندر. فمنذ العصور السحيقة توارى صوتها ورأيها في الزواج والسياسة، وأمور البلد، وحتى التعليم، وبالتمعن فيما وصل إلينا نلاحظ كيف أن أغلب النظريات الفلسفية القديمة أقصت حضورها، وجعلته أقل شأنا من الرجل فصنّفت على أنها جزء من الملكية الخاصة للأفراد، كان لهذا الشجب والتهميش أثر كبير على نفسية المرأة مما راكم الكبت لديها ممّا أوقعها في الصراع بين ثنائيتي المذكر والأنثوي.

مارس التغييب سلطته على المرأة، ووجدت نفسها في وسط يقيّدها، كفرد لا يحق له أن يمارس حرياته المتنوعة والكاملة إلا ضمن ما يحدّده لها العرف، كما أن مفهوم الأنوثة مفهوم ثقافي كرّس له المجتمع طويلا، فأدركت المرأة بألاّ خلاص لها إلا بالإبداع

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأدبي، فصارت الكتابة هي الخلاص الوحيد من القهر الذكوري، وكان عليها النضال طويلا ليعترف بها المجتمع [١٤].

خرجت سعاد الصباح، إذن، لتدين أقوالا نخرت مكانتها، وشوّشت حضورها ومورست وما تزال ثقافة الوأد على إبداعها، إذ صارت اللغة فحولة، وشيطان الشعر فحلا، وكانت المرأة كما ينعتها بودلير في أحد قصائده: أيتها المرأة يا مليكه الخطايا (أزهار الشر).

لذا تذهب الشاعرة بكلمة (يقولون) أيما مذهب فتلخص لنا عمرا ظلت تسمع فيه كلاما يستنقصيها ويجرحها

يقولون إني كسرت بشعري جدار الفضيلة
وأن الرجال هم الشعراء
فكيف ستولد شاعرة في القبيلة؟؟
وأضحك من كل هذا الهراء
وأسخر ممن يريدون في عصر حرب الكواكب
وأد النساء..
وأسأل نفسي
لماذا يكون غناء الذكور حلالا
ويصبح صوت النساء رذيلة

تعود بنا الشاعرة إلى النظام القبلي الذي يجعل الكتابة سدا منيعا أمام المرأة، إذ يحتفي بالشعراء، ويندر أن تسمع بميلاد شاعرة إلا إذا استفحلت، وجارت الرجال في شعرهم، ليبقى نسقا ثقافيا مندسّا في مسيره الإبداع، إلى أن حملت المرأة مشعل الدفاع عن حقها في الكتابة لتخرج عن الهامش، الذي خاتلته زمنا طويلا لتسترجع ذاتها المغيبة ووقوعها ضحية الفهم الذكوري المحتكر للمشهد الثقافي والأدبي بخاصة، لذا تحدت كل أشكال الكبت المجتمعي لتصحح المفاهيم المغلوطة التي يحملها المجتمع عن جنس

[١٤]- ينظر هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق، السرد النسوي بين النظرية والتطبيق، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤، ص.ص٣١-٣٢

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النساء، فيختزلها في جسد فقط.

لذا بدت الشاعرة سعاد الصباح ساخرة مستهزئة بأولئك الذين يخفون صوت النساء لارتباطه بالرذيلة والخطيئة، التي ما فتئت تلتصق بهن منذ وجود حواء إلى الوأد الذي ما يزال رديفا للإحساس بالنقص تجاه ولادتهن أو ولادة أي عمل أدبي لتتساءل ألشاعره باستنكار **ومن قال للشعر جنس**

وللنصر جنس

وللفكر جنس

وهو تصور يطرحه الفيمينيزم من أفكار سياسية، وفلسفية، واجتماعية، تتحرى الدفاع عن وضعية المرأة في المجتمع، تجذرت فيه أنساق ثقافيه مضمرة، وعادات وتقاليد تميز بين الرجال والنساء على أساس الجنس لتبدو علامات الرفض والتمرد في خطاب الشاعرة سعاد الصباح لتطلق ذاتها النسوية، وتطلق معها توق النساء الكامن في اللاوعي الذي يحمل رغبات التحرر من مختلف أشكال القمع الذي تمارسه عليهن السلطة المختبئة في أنساق المجتمع لأنهم:

يقولون إن الأنوثة ضعف

وخير النساء هي المرأة الراضية

وأنّ التحرر رأس الخطايا

وأحلى النساء هي المرأة الجارية

يقولون إن الأديبات نوع غريب

من العشب ترفضه البادية

وأن التي تكتب الشعر ليست سوى غانية

ترسم لنا الشاعرة هنا ثقافة دونية سربتها الخطابات الثقافية الرسمية لذا حاولت رسم ما يحدث لهذه الذات المسلوبة، والهوية المقموعة، والأنوثة الخاضعة الأسيرة لفكر ثقافي ذكوري مهيمن ما زال يدين المرأة ويقزّمها، ويجعل خير النساء المرأة الراضية المستكينة التي لا ترفض طلبا، ولا تمسك راية التحرر سوى الخارجات عن الطبيعة اللاتي جعلن الرجل هو مركز هذا العالم. ومن المفارق العجيب الغريب أن توجد أديبات

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في هذا المجتمع من الأساس، لذا تحمل الشاعرة علنا من راية التحدي وصار رهانها الأكبر كشف عوار الثقافة المتحيزة ضدها، واستجلاء صوره المرأة فيها، مشرعة حق البقاء بصفته معطى مفارقا لسلطة الإبعاد والتهميش، والتغييب، فتقول:

وأبقى أغني على قمتي العالية
وأعرف أنّ الرعود ستمضي
وأن الزوابع تمضي
وأن الخفافيش تمضي
وأعرف أنهم زائلون
وأني أنا الباقية[١٥]

انشغلت الشاعرة بالخطاب الثقافي أكثر من انشغالها بجماليات التشكيل والبناء الفني، رغبة منها في التمرد والتحرر من ربقة العوائق التي تقف في طريقها ممثله لها بألفاظ (الرعود، الزوابع، الخفافيش) لتبقى في قمتها التي طمحت إليها، وتبني لها كيانا أنثويا مستقرا بما وكدته بتكرارها لكلمة "تمضي" لتقف إزاء كل عقبه تزعزع ثقتها بوجودها الفاعل لا التابع، لذا كانت قصيده فيتو على نون النسوة رغبه ملحة للخروج عن الهوامش الاجتماعية المفروضة على المرأة ومنحها الحق في أن تعيش دون أن تمتهن إنسانيتهن، لأنه ما يزال السؤال قائما حول" فرضية وجود سرد خاص للمرأة وشعر خاص للمرأة، وبما أنّنا نعتقد بأنّ الكلمة الإبداعية لها لون وطعم ورائحة مثلما يصف الصينيون الطعام الجيد، فإنّ مثل هذه الفرضية الثقافية لوجود سرد خاص للمرأة وشعر خاص للمرأة في خطاب أنثوي بالغ الحساسية والتميّز والتفرّد، له لون المرأة وطعمها ورائحتها، قابلة للبحث والنقاش والسجال والتداول والبرهنة، طالما أنّ العملية الإبداعية هي تمثيل حي للرؤية، والتجربة، والحسّ والعاطفة، والخبرة، والثقافة، بمنطقها الذاتي الشديد الخصوصية"[١٦] فيمكن القول من هنا بأنّ المرأة حاولت البحث عن التفرد

---

١٥ - ينظر: سعاد الصبّاح، في البدء كانت الأنثى، الكويت، ١٩٨٨

١٦ - محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، استراتيجية العلامة فضاء التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص١٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والخصوصية، وفي خطوها نحو هذا كان عليها التمرد على المشككين في وجود خطاب مفارق لا يشبه خطاب الرجل.

قائمة المصادر والمراجع:

١. جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، - دراسة مقارنة -، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق – ٢٠٠٤.

٢. سارة چامبل، النسوية وما بعد النسوية، تر/أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢.

٣. سعاد الصباح، في البدء كانت الأنثى، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٨٨

٤. سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، "الوجود والحدود"، دار الأمان، المغرب، ط١، ٢٠١٢.

٥. عبد الله محمد الغذّامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥.

٦. عبد النور إدريس، النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية، دار فضاءات، الأردن، ط١، ٢٠١٣.

٧. عصمت حوسو، الجندر (الأبعاد الاجتماعية والثقافية).

٨. محمد صابر عبيد، التنوير الروائي، استراتيجية العلامة فضاء التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥، ص١٠.

٩. هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر/ محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٣.

١٠. هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق، السرد النسوي بين النظرية والتطبيق، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898